# الشرور معانيها ومصادرها وآثارها
# في هدي القرآن

أعداد

الشيخ جَوَاد كَاظِم الفرطوسي

**مقدمة :**

أن من الامور التي شغلت الراي العلمائي قبل الرأي العام هي مسألة الشرور ووجودها والحكمة منها وطبيعتها وآثارها ، بل أضرارها ومن المتسبب بها وما هي صلتها بالخالق الرحيم الحكيم أو الانسان البسيط البرئ فضلا عن المخالف للنظام العام او للطبيعة وغيرها الكثير من التساؤلات وتجد الاجابات والتوضيحات من جهة علماء الدين والطبيعة بجواب ومن الفلاسفة بجواب والكلاميين بآخر والتربويين او النقليين والعقليين والعرفانيين وغيرهم باجوبة شتى .

ولذا ارتأينا النظر والتعرف على معناها ومصادرها وآثارها بشكل وجيز .

## مفهوم الشر:

**المعنى اللغوي :** قال ابن فارس: «الشين والراء أصل واحد يدل على الانتشار والتطاير»

والشر خلاف الخير، وهو السوء والفساد، ومنه الشرر: وهو ما تطاير من النار ومفردها شررة، وشواء شرشار، أي: يتقاطر دسمًا

، ويقال: فلانٌ شَرَ فلانًا، أي: إذا عابه وشهره في الناس[1]

، وشر الناس: بمعنى أكثرهم شرًا، وأصله أشر: على صيغة أفعل التفضيل ،حذفت منه الهمزة لكثرة الاستعمال، وعند التأنيث يقال: فلانة شرى، أي: أكثرهن شرًا، ورجل شرير، أي : كثير الشر ، والجمع أشرار.

**المعنى الاصطلاحي:** لا يختلف المعنى الاصطلاحي للشر عن المعنى اللغوي فقد عبر العلماء عن اصطلاح الشر بقولهم: «هو عدم ملائمة الشيء الطبع»[2]

، أي: أن الشر اسمٌ جامع للرذائل والخطايا، والسوء، والفساد، وكذلك المصائب والبلايا، كما جاء في معاجم اللغة.

---

[1] - معجم مقاييس اللغة - أبو الحسين أحمد بن فارس زكريا - ج ٣ - الصفحة ١٨٠

[2] - جرجاني : علي بن محمد بن علي – التعريفات، ص١٦٦ ،

**الشر في الاستعمال القرآني :**

وردت مادة (الشر) في القرآن الكريم(٣٠) مرة

(وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا)[٣]

(وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ )[٤]

**وعند تبويب الآيات يظهر لنا الاتي :**

١. **الآيات التي تحدّثت عن وجود الشرور المتعدّدة؛** مثل قوله تعالى: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ)[٥] ، (وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ)[٦] ، (الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُوْلَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا)[٧] فالشرور - نظراً إلى وجود الألم والنَّصَب فيها - أمور وجوديّة؛ لا عدميّة.

٢. **الطائفة الأخرى من الآيات هي التي أشارت إلى أنكم قد تعدّوا بعض الأشياء خيراً أو شرّاً لكنّ واقعها ليس كما تحسبون؛ أي:** إنّ النظرة الشموليّة الجامعة تكشف لكم خلاف ذلك؛ منها قوله تعالى: (وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّواْ شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ)[٨]، وقوله تعالى: (وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً) [٩].

٣. **الآيات التي تطرّقت إلى اقتران الخير بالشرّ،** وأفادت أنّ السعادة تأتي من رحم المصيبة، وأنّ الآلام والنوائب مقدّمات لوجود الراحة والسكينة، وهي التي تتسبّب في حدوثها. ومثالها قوله تعالى: (فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا)[١٠].

٤. **الآيات الدالّة على السنن التكوينيّة؛** مثل قوله تعالى: (فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ اللَّهِ تَحْوِيلًا)[١١]، فقانون الجاذبية، واحتراق النار، والبراكين، والزلازل ، وعشرات القوانين الأخرى، ما هي إلا سنن طبيعيّة لا تنفكّ عن الطبيعة بحال.

---

[٣] - الإسراء:٨٣

[٤] - ص:٦٢

[٥] - سورة الفلق: ١-٥.

[٦] - سورة الأنبياء: ٣٥.

[٧] - سورة الفرقان: ٣٤

[٨] - سورة البقرة: ٢١٦.

[٩] - سورة الإسراء: ١١.

[١٠] - سورة الشرح: ٥-٦.

[١١] - سورة الرعد: ١١.

٥. **الآيات التي أخبرت عن إسناد التطوّرات الاجتماعية، والصعاب، والآلام، والمصائب إلى إرادة الإنسان؛** مثل قوله تعالى: (إِنَّ اللّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ)[١٢]. ويشير القرآن الكريم إلى أنّ بعض ما يُبتلى أو يُصاب به الإنسان ناتج عن أعماله هو: (وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ)[١٣]، وقد قصّت لنا الآيات الكريمة ما مرّت به الأمم المختلفة في غابر الزمان من ويلات، وطوفانات، وغرق، وما شاكل ذلك، مبيّنةً أنّ هذا كان جزاءً وانعكاساً لأفاعيلهم السيّئة. يقول تعالى في قصّة قوم لوط (ع): (قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ)[١٤] ، ثمّ يقول عقب ذلك: (إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاء بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ)[١٥] ، ثمّ يستعرض ما جرى على قوم شعيب (ع) قائلاً: (فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ)[١٦] ، ثمّ يتناول قصص عاد وثمود وفرعون وقارون وهامان بقوله: (فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)[١٧]، (وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن ظَلَمُواْ أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِن دُونِ اللّهِ مِن شَيْءٍ لَّمَّا جَاء أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ * وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الآخِرَةِ)[١٨]، (أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)[١٩] ، (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ)[٢٠]، (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ * وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ)[٢١]، (وَتِلْكَ الْقُرَى أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا)[٢٢]، ( أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن

---

[١٢] - سورة الرعد: ١١.
[١٣] - سورة الشورى: ٣٠
[١٤] - سورة العنكبوت: ٣١.
[١٥] - سورة العنكبوت: ٣٤.
[١٦] - سورة العنكبوت: ٣٧.
[١٧] - سورة العنكبوت: ٤٠.
[١٨] - سورة هود: ١٠١-١٠٣.
[١٩] - سورة التوبة: ٧٠.
[٢٠] - سورة يونس: ١٣.
[٢١] - سورة القصص: ٥٨-٥٩.
[٢٢] - سورة الكهف: ٥٩.

قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ)[٢٣].

وجاءت كلمة الشر في القرآن الكريم بمعناها اللغوي، وهو السوء، أو ما ينفر منه كل أحد.

و الفرق واضحٌ جليٌ بين الشر والخير؛ فالشر ضد الخير من كل الوجوه.

**ما هي حقيقة الشر:**

كما أن لكل شيء حقيقة، فإن للشر حقيقة أيضًا من حيث علم الله بها، ومن حيث كونها حقيقة أو مظنونة، وفيما يلي بيان ذلك.

**أولًا: علم الله بحقيقة الشر:**

إن الله سبحانه وتعالى هو الذي يعلم وحده كل شيء علمًا مطلقًا شاملًا ، وهذه حقيقة من شأنها أن تحدث في النفس رجة وهزة ، كما أنه يسكب في القلب الاستسلام لمن يعرف ظاهر كل شيء وخافيه.

وفي قوله تعالى في آية الكرسي: (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ )[٢٤]

إثباتٌ لإحاطة علمه سبحانه وشموله للزمان والمكان للأشياء، وبيان لعجز المخلوقات ونقص علمهم إلا ما شاء الله أن يعلمه.

وإيمان المسلم بهذه الصفة لله عز وجل، واستحضارها في قلبه يجعله مراقبًا لربه دائمًا، مراعيًا لحدوده، سريع التوبة إليه إن أساء، وإدراكه لحقيقة نفسه ونعمة الله عليه فيما يعلمه إياه من الحقائق يجعله دائمًا شديد الشكر لله وبعيدًا عن الكبر والبطر.

والله تعالى وحده العالم بحقيقة الخير والشر ، قال عز وجل: (وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ )[٢٥]

فكل إنسان -في تجاربه الخاصة- يستطيع حين يتأمل أن يجد في حياته مكروهات كثيرة كان من ورائها الخير العميم، ولذات كثيرة كان من ورائها الشر العظيم، وكم من مطلوب كاد الإنسان يذهب نفسه حسرات على فوته، ثم تبين له بعد فترة أنه كان

---

[٢٣] - سورة الروم: ٩.
[٢٤] - البقرة: ٢٥٥.
[٢٥] -البقرة: ٢١٦

إنقاذًا من الله أن فوت عليه هذا المطلوب في حينه، وكم من محنة تجرعها الإنسان تكاد تتقطع لفظاعتها أوصاله ، ثم ينظر بعد فترة فإذا هي تنشئ له في حياته من الخير ما لم ينشئه الرخاء الطويل، إن الإنسان لا يعلم والله وحده يعلم، فماذا على الإنسان لو يستسلم؟ إن هذا هو المنهج التربوي الذي يأخذ القرآن به النفس البشرية لتؤمن وتسلم وتستسلم في أمر الغيب المخبوء بعد أن تعمل ما تستطيع في محيط السعي المكشوف .

**ثانيًا: نسبية الشر:**

**١. درجته ظنيته.**

المقصود بنسبية الشر، ذلك أن الشر الموجود في هذا العالم ليس شرًا مطلقًا، الشر المطلق ليس موجود إنما يوجد شر نسبي، أي : شر موظف للخير المطلق، يوجد فقر، آلام، هموم، أحزان، موت أقارب، هذه الشرور نسبية موظفة للخير المطلق، قال الله تعالى: (وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢١) )[٢٦]

أي: لعلهم يتوبون إلى الله توبة صادقة فيسعدون بقربه ورحمته.

قال الله تعالى: (وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ )[٢٧]

وقد فصل الله تعالى هذا الشر في قوله: (وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) ) [٢٨]

إذن يبتلينا الله بألوان الشرور ليختبرنا أنصبر أم نكفر، أنرضى أم نسخط، فمن رضي فله الرضى ، ومن سخط فعليه السخط.

إذن هذا أمرٌ أساسي في العقيدة، يجب أن نعتقد اعتقادًا جازمًا أن الشر المطلق لا وجود له إطلاقًا، لكن هناك شرٌ نسبي، أي : بالنسبة للبشر، ولكنه في ذات الوقت موظف للخير المطلق.

---

[٢٦] -السجدة: ٢١

[٢٧] - الأنبياء: ٣٥

[٢٨] - البقرة: ١٥٥-١٥٦.

**٢. نماذج من القرآن الكريم من الشر المظنون.**

خروج المسلمين الذين خرجوا يوم بدر يطلبون عير قريش وتجارتها، ويرجون أن تكون الفئة التي وعدهم الله إياها هي فئة العير والتجارة، لا الفئة الحامية المقاتلة من قريش، ولكن الله جعل القافلة تفلت، ولقيهم المقاتلة من قريش، فكان النصر الذي دوى في الجزيرة العربية، ورفع راية الإسلام، فأين تكون القافلة من هذا الخير الضخم الذي أراده الله للمسلمين، أو أين يكون اختيار المسلمين لأنفسهم من اختيار الله لهم، والله يعلم ، والناس لا يعلمون حقيقة الشر

؛ قال تعالى: (وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ ) [٢٩]

في قصة سيدنا موسى مع الخضر في سورة الكهف نرى كيف يمكن لأشياء هي شر في الظاهر أن تؤدي إلى خير كبير، حين قام الخضر بخرق السفينة وقتل الغلام، وإنشاء جدار بلا أجر، هذا كله شر في الظاهر ولكن في حقيقة الأمر ينطوي على خير عميم؛ قال الزحيلي: «إن الأحداث الثلاثة التي فعلها الخضر كانت من قبيل اختيار أهون الشرين، وأخف الضررين، وتحمل الضرر الأدنى لدفع الضرر الأعلى، وهو معنى قوله تعالى: (رَحْمَةٍ مِنْ رَبِّكَ )، فهي وإن كانت مستنكرة في الظاهر، وحق لموسى عليه السلام إنكارها والاعتراض عليها، فهي خير في الحقيقة والواقع »

**معقولية الإيمان بالصفات الإلهية وقضية الشرور:**

قدّم المفكّرون المسلمون وغيرهم في معرض ردّهم على شبهة الشرور، وإثبات انسجامها مع الصفات الإلهية مجموعةً من الإجابات المتعدّدة في هذا الصدد؛ منها ما هو كلّيّ عامّ يدور حول إثبات الحكمة الإلهية، ومنها ما هو جزئيّ خاصّ يستعرض بعض مصاديق الحكمة في ما نراه يحدث في هذا العالم من نوائب وآفات وبليّات، أو فقر وتمييز وزوالٍ للنِّعَم، أو غير ذلك من الشرور الطبيعية أو الأخلاقية.

وإنّ تناول جميع تلك الردود يتطلّب مجالاً واسعاً ومطوَّلاً يمكن الوقوف على تفصيلاته في كتاب «العدل الإلهي» للعلامة المطهّريّ. وفيما يأتي نشير إلى بعض

[٢٩] - الأنفال: ٧

تلك الردود مستفيدين من هذا المصدر وغيره مع تصنيفها إلى أربعة اتجاهات ومناحٍ؛ هي: المنحى الكلاميّ، والفلسفيّ، والعرفانيّ، والتربويّ.

**المنحى الكلاميّ في الردّ على شبهة الشرور:**

الاتجاه الأول الذي يلفّ ردّنا على هذه الشبهة هو ما ذهب إليه المتكلّمون في ردودهم ذات الطابع النقليّ أو العقليّ، المنبثقة من الداخل الدينيّ أو من خارجه. وملخّصه ما يأتي:

١. **إنّ الله جَلَّ وَعَلا عالم قادر حكيم منزّه عن جميع مناشئ الظلم ودوافعه** - مثل: الجهل، والعجز، والحاجة، والنقص - ولهذا، فلا يوجد ما يدعوه للظلم، أو قل: ما يتسبَّب في ممارسته الظلم على أحد من خلقه. أمّا الحكمة من الشرور والآلام والصعاب التي قد نجدها هنا أو هناك فأمر خارج عن نطاق علمنا، لكنّنا لا نشكّ في وجود حكمة أو فلسفة تقف خلفها. ومن الجدير بالذكر هنا أنّ وصف هذا المنحى بالدليل الفلسفيّ والعقليّ تابع لاعتماده على إثبات الحكمة الإلهية بمنهج عقليّ منبثق من خارج الأطر الدينية.

٢. **قدّم المتكلّمون في تبرير الشرور بالحكمة الإلهية - علاوةً على الردّ العامّ أعلاه - مجموعةً من الردود التفصيلية الأخرى**؛ منها على سبيل المثال قولهم: إنّ بعض الشرور المذكورة كالظلم والفقر والجوع وعشرات المعضلات الاقتصادية والسياسية والصحية وغيرها ما هي إلا شرور أخلاقية نابعة من إرادة البشر. وهذا الردّ كسابقه صحيح أيضاً، لكنّه لا يحلّ إلا مشكلة الشرور الأخلاقية؛ من دون أن يتطرّق إلى الحكمة الفاعلية في الشرور الطبيعيّة.

**المنحى الفلسفيّ في الردّ على شبهة الشرور:**

الاتجاه الثاني الذي نتناوله هنا يعالج القضيّة من زاوية فلسفيّة خارجة عن الأطر الدينية؛ وهو ينطوي على الردود الآتية:

١. **ماهيّة الشرور من سنخ العدم:** فالتحليل يدلّنا إلى أنّ العمى والصمم والجهل والعجز والمرض وأيّ لون آخر من ألوان الشرّ ليس إلا انعدام للبصر والسمع والقدرة والصحة. والعدم لا يتطلّب في نظام الأسباب والمسبّبات علّة موجدة، حتّى نحتاج إلى إسناد شيء إلى إله الخير (يزدان)، أو إله الشرّ (أهريمن)، أو إلى النور والظلام. وهذا الردّ الأفلاطونيّ قد يتناسب مع السؤال الأنطولوجيّ والفلسفيّ على الشرور، فيكشف لنا عن كون الشرّ أمراً عدميّاً، لكنّه لا يوضح لنا حكمة تلك

الأعدام المسمّاة بالشرور؛ فلقائل أن يقول: لماذا لم يعالج الإله القادر هذه الأعدام، ويدفعها من الأساس؟!

٢. **الشرور أمور نسبيّة:** الجواب الآتي الذي قدّمه الفلاسفة في بحثنا أنّ هذا العالم ليس فيه شرّ مطلق؛ فالسيول الزلازل والوحوش والأمراض والأوبئة قد تكون شرّاً لبعض المخلوقات، بيد أنّها قد تكون خيراً لمخلوقات أخرى؛ فسمّ الحيّة الذي قد يفتك بالإنسان أحياناً، فيكون شرّاً لا محالة، هو خير إذا ما لاحظنا كونه الدواء الوحيد الذي ينقذ الإنسان من الهلاك أحياناً أخرى! وهذا الجواب صحيح أيضاً، لكنّه لا يجيب على السؤال المشار إليه آنفاً بنحو كامل؛ فالسؤال ما يزال باقياً: طالما أنّ الله سُبحَانَهُ وَتَعَالىٰ ذو قدرة غير محدودة، وهو خيّر محض، فلِمَ لا تُقلَع هذه الشرور من جذورها، ويستريح العالم منها؟!

٣. **اللاانفكاك بين الخير والشرّ:** أجاب الفلاسفة من المدرسة المشّائيّة على السؤال بنحو مختلف؛ حيث قالوا: إنّ عالم الطبيعة هو عالم الحركة والتعارض والتصادم، وإنّ الموجودات المادية في تكامل وحراك مستمرّ يخرجه على الدوام من القوّة إلى الفعل، وقد ينجم عن هذه الحركة تضادّ، أو تزاحم بينها، وعندئذٍ لا يمكن الفصل والتفكيك بين الشرور والخيرات؛ فالخيرية المحضة في هذا العالم رهينة بإيقاف عجلة الحركة، وانتفاء مادية العالم؛ أي: يلزم السلب بانتفاء الموضوع (انتفاء الحركة يساوي انتفاء عالم الطبيعة)، وحينئذٍ يلزم انتفاء الخير الكثير؛ وهو - في حدّ ذاته - شرّ كثير. فبزوال عالم الطبيعة وتلاشيه ننجو من الشرّ القليل، لكنّنا في الوقت ذاته سوف نخسر خيراً كثيراً؛ هو عالم الطبيعة. ناهيك عن كون بعض الشرور - مثل: التفاضل والاختلاف بين الأشياء - ناشئ عن اختلاف المناطق والأقاليم الجغرافية المتفاوتة فيما بينها أصلاً، وهذا هو مقتضى الطبيعة؛ بمعنى أنّ هذا الاختلاف يُعدّ من اللوام الذاتية للطبيعة. وبعبارة أخرى: تتعلق الإرادة الإلهية بالخيرات أوّلاً وبالذات؛ وإن تعلقت بالشرور ثانياً وبالعرض.

وعليه: ليست الشرور متعلقة الإرادة الإلهية أوّلاً وبالذات؛ بل تبعاً وبالعرض. وإنّ هذه الإرادة العرضية التبعية لازم ذاتي للطبيعة، فنحن نُبتلى بالشرور إلى جانب تنعّمنا بالخيرات. ومع الإذعان بصحة هذا الردّ، لكنّه يعاني من أنّ شرّيّة الحوادث ليس بذاتيّ طبيعيّ لها؛ إذ توصف الحوادث بالشرّ من جهة إضرارها بالإنسان؛ فيرد السؤال هنا: لماذا لا تتكاتف القدرة والعدل والحكمة الإلهية لتنتج سيلاً أو زلزالاً أو حادثاً طبيعياً لا يلحق الضرر بالإنسان؛ كما لو حدث مثلاً في مناطق غير مأهولة؟! وطالما أنّ الحوادث الطبيعية ليست بشرور ذاتية، لم لا تتعلق الإرادة الإلهية بخيرات لا تستلزم شروراً عرضية؟!

٤. **الخيرات أكثر من الشرور:** يردّ الفلاسفة أيضاً بأنّ الشرور وإن وُجدت في هذا في العالم، لكنّها ليست بأكثر من الخيرات فيه؛ وإلا لما بقيت لعالم الطبيعة باقية، ولتبدّد وفنى. وما بقاء العالم وثباته إلا دليل على غلبة الخيرات على الشرور. وبالنظر إلى ما تقدّم من نقاط، فإنّ هذا الردّ لا يُبدِّد الهواجس الكلامية، أو يحلّ مشكلاتها؛ فهو لا يفسّر لنا ما يبرّر وجود هذه الشرور القليلة في العالم، والسؤال القائل: لم لا ينطوي عالم الطبيعة مع وجود هذه الحوادث الطبيعية على خير مطلق؟ أو قل: لم لا تتحقّق هذه الحوادث في الطبيعة بنحو لا يطال الإنسان، ولا يجرّه إلى ويلاته؛ فيجري السيل أو يحلّ الزلزال مثلاً في موضع لا يؤثّر سلباً على الإنسان؟!

**المنحى العرفانيّ في الردّ على شبهة الشرور:**

الاتجاه الثالث في الردّ على شبهة الشرور هو المنحى العرفاني؛ فقد انبرى العرفاء بما يملكونه من رؤية شمولية لحل هذه المسألة، نعرض قولهم بإيجاز على النحو الآتي:

١. **الرؤية الجزئيّة هي منشأ الشرور:** وهذا يعني أنّ الشرور نابعة من نظرتنا للأمور؛ فلو نظر الإنسان إلى عالم الطبيعة برؤية شمولية واسعة الأفق لرأى أنّ وجود ما وصفه بالشرّ أمر مناسب وضروريّ، بل لما وَجَد فيه أيّ شرّ أو ألم أو نَصَب؛ فنحن بنو البشر نحسب المحن والصعاب التي تواجهنا شروراً وآلاماً لأفقنا الضيّق ونظرتنا الجزئيّة للأمور، فنعيش حالة الاستياء والسخط باستمرار، أمّا لو بسط الإنسان بصره على المشهد بأكمله برؤية شمولية؛ كما لو لاحظ داراً بعموميّتها، لوجد أنّ المجاري والمرافق الصحّيّة فيها ضروريّة، ولما وصمها بالشرّ، أمّا لو قصر نظره على ما تطلقه من روائح كريهة لما تردّد في وصفها بالشرّ والسوء. ومع أنّ هذا الردّ صحيح - في حدّ ذاته - وهو يضع بين أيدينا حلاً عرفانيّاً عمليّاً كي لا نتجاهل الشرور والصعاب، بيد أنه عاجز عن الأخذ بيد الذين لم يبلغوا هذا المستوى العرفانيّ.

٢. **النظرة إلى الشرّ:** بعض الأمور الموصوفة بالشرّ إذا لوحظت بنظرة دنيوية بحتة فهي معدودة في زمرة الشرور، أمّا لو أخذنا عالم الآخرة بعين الاعتبار أيضاً، فلن يبقى مجال لعدّها من الشرور؛ فعلى سبيل المثال: الموت عند أصحاب النظرة الدنيوية شرّ وعذاب أليم، لكنّ المؤمن باليوم الآخر يراه انتقالاً من عالم إلى عالم آخر. وهذا الجواب صحيح أيضاً، وهو ناجع لحلّ عقد بعض الشرور، لكنّه لا يكفي لحلّها جميعاً. ولا يخفى أنّ حلّ المعضل النفسيّ والعاطفيّ للشرور لا يُلزمنا الوصول إلى ذلك من خلال طريق واحد؛ فمن الممكن سلوك طرق مختلفة لحلّ مشكلة الشرور في صوره ومصاديقه المختلفة.

**المنحى التربويّ في الردّ على شبهة الشرور:**

قدّم بعض العلماء حلولاً تربويّة للأخذ بيد العالقين في شبهة الشرور والآلام؛ حيث ذهبوا إلى أنّ الشدائد والصعاب وما يلمّ بالإنسان من نوائب ومصائب لها دور مفصليّ في تكامل الإنسان علميّاً ومعنويّاً وصناعيّاً على مستوى الفرد والمجتمع. وعليه: فإنّ الشرور تفضي في نهاية المطاف إلى خير كثير، وهذا ما يكسبها لوناً من ألوان الخير. ومع أن هذا الردّ صحيح كذلك، غير أنه لا يجيب على المشكلة المشار إليها آنفاً؛ فالسؤال الملحّ هو: ألا يمكن الحصول على تلك الخيرات من دون الاضطرار إلى ركوب مقدّماتها الشرّيرة؟!

**الرأي المختار في الردّ على شبهة الشرور:**

لا نرفض أيّاً من الحلول الكلامية والفلسفية والعرفانية والتربوية التي تقدّمت، غير أنّنا سوف نسلك طريقاً مختلفاً نظراً إلى إلحاح الواقع العلمي على كشف الحكمة من وجود الشرور ونظراً إلى التساؤل الذي يقول: لماذا لم تُخلق الحوادث الطبيعية بنحو لا يُسفر عن مشكلة الشرّ، ولا ينتهي إلى تورّط الإنسان في دوّامةٍ من الآلام والصعاب؟!

**وخلاصة الجواب على ذلك فيما يأتي:**

ترتبط بعض الشرور بصلة تكوينية مع أعمال الإنسان كما في بعض ألوان العذاب الدنيوي، وجميع ألوانه الأخروية. ولهذا، يجب الالتفات إلى أن الصلة بين العمل من جهة، والجزاء في الآخرة أو بعض الجزاء في الدنيا من جهة أخرى ليست صلةً وضعيّةً جعليّةً؛ وإنّما هي صلة السبب والمسبَّب، وبعبارة أدقّ: الجزاء هو عين العمل في تجسّده الأخرويّ.

**أنواع الشر:**

الشر حقيقة ما زاد ضره على نفعه، كما أن الخير ما زاد نفعه على ضره، وإن خيرًا لا شر فيه هو الجنة، وإن شرًا لا خير فيه هو جهنم، الشر نوعان: شرٌ دنيوي، وشرٌ أخروي، وبيان ذلك فيما يأتي:

**أولًا: الشر الدنيوي:**

إن الشر الدنيوي المتمثل في الأمراض والابتلاءات له فائدة عظيمة وحكم جليلة، يمن بها الله على من أحب من عباده، ومن هذه الحكم: تكفير السيئات ورفع الدرجات، والتمحيص والتنقية والتهيؤ لحمل أعباء الدعوة.

فقد ينزل الشر على العباد رفعًا للدرجات، أو وضعًا للآصار وتكفيرًا للخطايا والسيئات؛ فمما يكون لرفع درجات العباد، ويراد لهم الخير به : ما رواه البخاري قال: قال رسول الله: (من يرد الله به خيرًا يصب منه)

، أي: يبتليه بالمصائب والمحن ليرفع درجاته ويزيد في حسناته على ما يكون من صبره واحتسابه.

قال تعالى: (فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) أَنْ يَاإِبْرَاهِيمُ (١٠٤) صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) بِذِبْحٍ عَظِيمٍ (١٠٧) )[٣٠]

قال ابن القيم: «ليس المراد أن يعذب، ولكن يبتلى ليهذب ، ليس العجب من أمر الخليل بذبح الولد ، إنما العجب من مباشرة الذبح بيده، ولولا الاستغراق في حب الأمر لما هان مثل هذا المأمور، فلذلك جعلت آثارها مثابة للقلوب تحن إليها أعظم من حنين الطيور إلى أوكارها»[٣١]

.وقال تعالى: (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ (١٤٢) )[٣٢]

قال الرازي: «أم حسبتم أن تدخلوا الجنة بمجرد تصديقكم الرسول قبل أن يبتليكم الله بالجهاد وتشديد المحنة ، والله أعلم»[٣٣]

ومما يكون لتكفير السيئات ما جاء في الحديث المتفق على صحته عند الشيخين أن عائشة قالت: قال رسول الله: (ما من مصيبة تصيب المسلم إلا كفر الله بها عنه، حتى الشوكة يشاكها)[٣٤]

---

[٣٠] - الصافات: ١٠٣ -١٠٧

[٣١] - تفسير ابن القيم

[٣٢] - آل عمران: ١٤٢

[٣٣] - تفسير الرازي - الرازي - ج ٩ - الصفحة ٢٠

[٣٤] - أخرجه البخاري (٥٦٤٠

قال المناوي شارحًا هذا الحديث في فيض القدير: (ما من مصيبة) أي: نازلة، وأصلها الرمي بالسهم ، ثم استعيرت لما ذكر (إلا كفر الله بها عنه) ذنوبه، أي : محي خطيئاته بمقابلتها[٣٥]

وقال الغزالي: قال عيسى عليه السلام: لا يكون عالمًا من لم يفرح بدخول المصائب والأمراض عليه لما يرجوه من ذلك من كفارة خطاياه[٣٦]

قال تعالى: (وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ (٣٠) )[٣٧]

قال الزحيلي: «والقصد من الابتلاء رفع الدرجات ؛ لأن الأنبياء معصومون عن الذنوب والآثام، ويكون حصول المصيبة من باب الامتحان في التكليف، لا من باب العقوبة»

**ثانيًا: الشر الأخروي:**

**١. الجزاء من جنس العمل.**

إن الله تعالى عدل لا يظلم مثقال ذرة، جعل الجزاء من جنس العمل، (فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ (٨) )[٣٨]

فمن يفعل مقدار ذرة من التراب خيرًا يجده في صحيفته يوم القيامة ويلق جزاءه، ومن يفعل من الشر مقدار ذرة من التراب يجده كذلك ويلق جزاءه عليه.

وقوله: (هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (٥٥) يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ (٥٦) )[٣٩]

إن للكافرين الذين كذبوا الرسل لشر منقلب يصيرون إليه في الآخرة، ثم فسر هذا المصير بقوله (جَهَنَّمَ ) يذوقونها ويصلون سعيرها، قال الطبري: في الآية تقديم وتأخير ، أي : هذا حميم وغساق فليذوقوه، والحميم هو الذي أغلى حتى انتهى حره، والغساق ما يسيل من جلودهم من الصديد والدم، وعذاب آخر من مثل هذا العذاب المذكور كالزمهرير، والسموم وأكل الزقوم لهم منه أنواع وأصناف.

---

[٣٥] - فيض القدير ج٥ص٥٠١

[٣٦] - إحياء علوم الدين: الغزالي، أبو حامد ج : ١٤ صفحه : ٣٠

[٣٧] - الشورى: ٣٠

[٣٨] - الزلزلة: ٧-٨

[٣٩] - ص: ٥٥-٥٦

**٢. شر أهوال يوم القيامة.**

قال تعالى: (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) )[٤٠]

قال القرطبي: «استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملأ السموات والأرض»[٤١]

وقال ابن عباس: «يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل منه عرق كالقطران يومًا تعبس فيه الوجوه من هوله وشدته، اليوم القمطرير أي : الشديد الصعب أو أشد ما يكون من الأيام وأطوله في البلاء»[٤٢]

وقوله تعالى: (فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) )[٤٣]

دفع عنهم شره بسبب خوفهم منه وإطعامهم لوجهه أعطاهم بدل العبوس في الكفار نضرة في الوجوه وسرورًا في القلوب، والنضرة البياض والنقاء في وجوههم والحسن والبهاء

خوفهم اليوم مجاز عقلي جرى في تعليق اليوم بالخوف، لأنهم إنما يخافون ما يجري في ذلك اليوم من الحساب والجزاء على الأعمال السيئة بالعقاب.

وانتصب (يَوْمًا ) على المفعول به لـ(وَيَخَافُونَ ) ولا يصح نصبه على الظرفية؛ لأن المراد بالخوف خوف في الدنيا من ذنوب تجر إليهم العقاب في ذلك اليوم، وليس المراد أنهم يخافون في ذلك اليوم فإنهم في ذلك اليوم آمنون، إنهم يخافون شر ذلك اليوم فيتجنبون ما يفضي بهم إلى شره من الأعمال المتوعد عليها بالعقاب، وصيغة (وَيَخَافُونَ ) الفعل دالة على تجدد خوفهم شر ذلك اليوم

يخافون عذاب يوم هو يوم القيامة كانت شدائده وأهواله فاشية منتشرة في كل جهة وعامة على كل الناس إلا ما رحم الله، وإنما سميت الأهوال شرًا لكونها مضرة بمن تنزل عليه ولكونها صعبة عليه ، كما تسمى الأمراض وسائر الأمور المكروهة شرورًا

كان شر ذلك اليوم فاشيًا في السماوات، فانشقت وتناثرت الكواكب، وكورت الشمس والقمر وفزعت الملائكة وفي الأرض، فنسفت الجبال وغارت المياه ، وتكسر كل شيء على الأرض من جبل وبناء.

---

[٤٠] - الإنسان: ٧

[٤١] - تفسير القرطبي ص ٥٧٩

[٤٢] - المصدر السابق

[٤٣] - الإنسان: ١١

**التحصن من الشر:**

لقد بين الله لنا في كتابه العزيز وسنته المطهرة حقيقة الشر، كما بين لنا أسبابه ومسبباته، والتي أهمهما شياطين الإنس والجن بأشكالهم المختلفة، مصداقًا لقوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٢) )[٤٤]

فلقد ناصبت تلك الشياطين العداء للأنبياء، فضلًا عن أتباعهم ومن رحمة الله بنا؛ **فقد بين لنا كيفية التحصن منهم** ، ألا وهي **الإيمان، والذكر والدعاء، وأخيرًا الصحبة الصالحة،** وفيما يلي تفصيلًا لذلك:

**أولًا: الإيمان:**

إن الإيمان مصدر لاطمئنان القلب؛ فمن كان قلبه عامرًا بالإيمان فقد حصن نفسه من شر شياطين الإنس والجن.

قال تعالى: (إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ (١٠٦) )[٤٥]

فقد اقترنت الطمأنينة في القلب بالإيمان، حتى عند نزول البلاء والعذاب على عمار رضي الله عنه، فقد كان يعذب كي ينطق كلمة الكفر، وقد نطقها تحت وطأة العذاب بلسانه، لكن قلبه كان مطمئنًا بالإيمان متحصنًا به من الزلل والانزلاق في وحل الشرك والكفر.

قال الزمخشري: «وكان فيهم من أكره فأجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للإيمان، منهم عمار، وأبواه -ياسر وسمية- وصهيب، وبلال، وخباب، وسالم: عذبوا، فأما سمية فقد ربطت بين بعيرين وجيء في قبلها بحربة، وقالوا: إنك أسلمت من أجل الرجال فقتلت، وقتل ياسر ، وهما أول قتيلين في الإسلام، وأما عمار فقد أعطاهم ما أرادوا بلسانه مكرها، فقيل : يا رسول الله، إن عمارًا كفر، فقال: كلا، إن عمارًا مليء إيمانًا من قرنه إلى قدمه، واختلط الإيمان بلحمه ودمه» [٤٦]

لقد أخبرنا الله تعالى: أن من الجن والإنس شياطين يريدون أن يضلونا وأن يبعدونا عن صراط الله المستقيم، ويريدون أن يسببوا لنا الأذى النفسي والبدني، فهم

---

[٤٤] - الأنعام: ١١٢
[٤٥] - النحل: ١٠٦
[٤٦] - لكشاف للزمخشري

يوسوسون، وينفثون سمومهم الكفرية بين بني آدم، ويرسلون عليهم أعوانهم ليؤذوهم وليلبسوا عليهم دينهم.

قال تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ (١١٢) )[٤٧]

وقد بين الله تعالى لنا في كتابه في آيات كثيرة عداوة إبليس لنا، وأنه حريص على إضلالنا وصرفنا عن صراط الله المستقيم، فقال تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَى مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢١) )[٤٨]

وقال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا (٦٠) )[٤٩]

وقال تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ (٩١) )[٥٠]

وقال تعالى: (يَابَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ يَنْزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْآتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ (٢٧) )[٥١]

فكل هذه الآيات تبين شدة عداوة الشيطان لبني آدم وخصوصًا عباد الله المؤمنين، فهو حريص على كل ما يضرهم من الكفر، والبدع، والمعاصي، وتعليق قلوبهم بغير الله، والاستعانة بغيره، وغير ذلك مما يقدح في إيمانهم وعقيدتهم، ولكن الله تعالى رحمة بعباده المؤمنين أنار لهم الطريق بالبرهان الساطع والكلام الواضح المبين، فحذر العباد منه ومن أعوانه، فقال تعالى: (إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ (٦) )[٥٢]

وقد أكدت الآيات أن الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون؛ قال السمعاني: «يعني: أن الشياطين يوالون الكفار»

---

[٤٧] - الأنعام: ١١٢
[٤٨] - النور: ٢١
[٤٩] - النساء: ٦٠
[٥٠] - المائدة: ٩١
[٥١] - الأعراف: ٢٧
[٥٢] - فاطر: ٦

، أي: بمفهوم المخالفة أن الإنسان الذي يتحصن بالإيمان يكون بعيدًا عن موالاة الشياطين.

وعلى الإنسان أن يؤمن بأن الله سبحانه لا يقدر شرًا محضًا ليس فيه خير، بل كل ما قدر وإن ظهر لنا أنه شر كله فإن من وراءه من الخير مالا يعلمه إلا الله ، كتكفير السيئات، ورفعة الدرجات وتمحيص المؤمنين وتبصيرهم بعيوبهم وكشف ما يخطط لهم، أو دفع شر أعظم مما حل بهم ، كحفظ دينهم ولو ذهب شيء من دنياهم، ونحو ذلك من المصالح التي لا تخطر على البال، وقد جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم لربه (والشر ليس إليك)

وهذا إبليس أساس الشر في العالم خلقه الله سبحانه وقدر وجوده في الكون، ليختبر العباد ويعلم الصادق من الكاذب وغيرها من الحكم التي ظهر فيها الخير للعباد، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

**ثانيًا: الذكر والدعاء:**

للذكر والدعاء أثرٌ عظيم في طمأنة القلوب، مصداقًا لقوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ (٢٨) )[٥٣]

قال القشيري: «قوم اطمأنت قلوبهم بذكرهم الله، وفي الذكر وجدوا سلوتهم، وبالذكر وصلوا إلى صفوتهم، وقوم اطمأنت قلوبهم بذكر الله ، فذكرهم الله سبحانه بلطفه، وأثبت الطمأنينة في قلوبهم على وجه التخصيص لهم»[٥٤]

وفي قوله تعالى: (وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ) إشارة إلى أن من علامات أهل الإيمان، أنهم إذا ذكروا الله، أو ذكروا به، اطمأنت قلوبهم، واشتملت عليهم السكينة، وغشيهم الأمن والسلام

.وقد ذكر ابن القيم في كتابه مائة فائدة للذكر صدرها بقهر الشيطان فقال: «وفي الذكر أكثر من مائة فائدة: إحداها: أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره، والثانية: أنه يرضي الرحمن عز وجل، والثالثة: أنه يزيل الهم والغم عن القلب، والرابعة: أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط»[٥٥]

---

[٥٣] - الرعد: ٢٨

[٥٤] - تفسير القشيري ج٢ص٢٢٩

[٥٥] -الوابل الصيب ص٩٤

وقد جاء في كتاب السنن والمبتدعات: أن الذكر كما قال تعالى: (أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ )، فلا تهمه زعازع الدنيا ولا آفاتها بل (وَهُمْ مِنْ فَزَعٍ يَوْمَئِذٍ آمِنُونَ )[٥٦]

وقوله: (لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (١٠٣) )[٥٧]

ذلك لأن قلوبهم سكنت بذكره وآمنت بآياته وسننه، وعرفت نعمه فقدرتها وشكرتها؛ فقلوبهم عن ربهم راضية»

ومن فوائده أيضًا: أنه يقوي القلب ويجرئه في مواجهة أعتى المواقف؛ ولذلك ثبت عن الصحابة في قتال فارس والروم مع أنهم أعظم أجسامًا وأقوى أسلحة وأكثر عددًا وعدة ثباتهم أمامهم، ومع الكفار الفيلة، ومعهم أنواع من المنجنيقات، وآلات الحرب لم يكن العرب يعرفونها أو يعرفون مثل عظمها، لكنهم ثبتوا بتحصنهم بذكر الله.

قال تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٤٥) )[٥٨]

إن ذكر الله يجعل للعبد الذاكر صلوات عليه من ربه ورحمة وتحصينًا.

قال تعالى: (يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣) )[٥٩]

يقول المراغي: «أي: إن ربكم الذي تذكرونه الذكر الكثير وتسبحونه بكرة وأصيلا، هو الذي يرحمكم ويثنى عليكم في الملإ من عباده، وتستغفر لكم ملائكته، وفي هذا من التحريض على ذكره والتسبيح له مالا يخفى»[٦٠]

والذكر والدعاء متلازمان، فلفظ الدعاء والدعوة في القرآن الكريم يتناول معنيين: الأول: دعاء العبادة، والآخر: دعاء المسألة.

ودعاء المسألة: هو طلب ما ينفع الداعي، وطلب كشف ما يضره ودفعه

---

[٥٦] - النمل: ٨٩
[٥٧] - الأنبياء: ١٠٣
[٥٨] - الأنفال: ٤٥
[٥٩] - الأحزاب: ٤١-٤٣
[٦٠] - تفسير المراغي: أحمد مصطفى ج : ٢٢ صفحه : ١٨

وكل من يملك الضر والنفع فإنه هو المعبود بحق، أما دعاء العبادة فهو الذي يتضمن الثناء على الله بما هو أهله ويكون مصحوبا بالخوف والرجاء، والدعاء في القرآن يراد به هذا تارة، وهذا تارة، ويراد به مجموعهما وهما متلازمان، فالعبد يدعو للنفع أو دفع الضر دعاء المسألة ويدعو خوفًا ورجاءً دعاء العبادة؛ فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة، وقد ورد المعنيان جميعًا في قوله سبحانه: (ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥) تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) )[٦١]

**ثالثًا: الصحبة الصالحة:**

لقد حذر الإسلام من الصحبة السيئة، لاسيما رفقاء السوء، الذين يجاهرون بالمعاصي ، وحث على اختيار الصحبة الصالحة، قال تعالى: (الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ (٦٧) )[٦٢]

قال الجزائري: « أي: الأحباء في الدنيا يوم إذ تأتي الساعة بعضهم لبعض عدو فتنقطع تلك الخلة والمودة وتصبح عداء؛ لأنها كانت على معصية الله تعالى وقوله (إِلَّا الْمُتَّقِينَ ) أي : الله عز وجل بفعل أوامره وترك نواهيه فإن مودتهم وخلتهم لا تنقطع ، لأنها كانت محبة في الله وما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل»[٦٣]

قال تعالى: (وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (٢٧) لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا (٢٨) )[٦٤]

قال الزمخشري: «فكل من اتخذ من المضلين خليلًا كان لخليله اسم علم لا محالة»[٦٥]

وقال المراغي: «أي: يا هلكتي احضري فهذا أوانك، ليتني لم أتخذ فلانا الذي أضلني وصرفني عن طريق الهدى خليلًا وصديقًا، ومن الأخلاء الشياطين، ولا فارق بين شياطين الإنس وشياطين الجن»[٦٦]

---

[٦١] - الأعراف: ٥٥-٥٦
[٦٢] - الزخرف: ٦٧
[٦٣] ايسر التفاسير ج٤ص١-٥
[٦٤] - الفرقان: ٢٧-٢٨
[٦٥] الكشاف ج٣ص٩٠
[٦٦] -تفسير المراغمي ج١٩ص٨

فالصحبة الصالحة حصنٌ حصينٌ للمرء من الانزلاق في مزالق الشيطان وشروره، فلقد حثنا الله والنبي صلى الله عليه وسلم على اختيار وملازمة الصحبة الصالحة؛ فالرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو خير خلق الله على الإطلاق، يأمره الله بأن يلزم أصحابه.

قال تعالى: (وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا (٢٨) )[٦٧]

والرسول صلى الله عليه وآله وسلم هو معلم البشرية الخير، وهو الذي هداها الله عز وجل به، وهو الذي أرشدهم إلى طريق الصواب ، ومع ذلك فهو يحتاج إلى أن يصبر نفسه معهم، ولا يعني ذلك أنه لا يلتزم بدونهم، ولكن رفقة الصالحين مطلوبة ولو كانوا أقل منزلة، فالمرء يحتاج إلى أصحاب في الخير وإخوان في الله، ولو كان أفضل منهم.

ويدعو ابراهيم عليه الصلاة والسلام قائلًا: (رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ (٨٣) )[٦٨]

ويؤكد عليها يوسف عليه السلام قائلًا: (تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ) [يوسف: ١٠١]؛ذلك أن صحبة الصالحين نعيم في الدنيا والآخرة، وصحبة الظالمين والفاسقين والكافرين عذاب في الدنيا والآخرة، فصحبة أهل الفساد عذاب للإنسان، ومجرد النظر في وجوه الظلمة أو سماع كلامهم، أو النظر في وجوه الفسقة والفجرة يصيب الإنسان بالهم والكرب.

ومن فضل الصحبة الصالحة جلب المغفرة من الذنوب.

روى البخاري في صحيحه: عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن لله ملائكة يطوفون في الطرق، يلتمسون أهل الذكر، فإذا وجدوا قومًا يذكرون الله تنادوا: هلموا إلى حاجتكم، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا، قال: فيسألهم ربهم، وهو أعلم منهم، ما يقول عبادي؟ قالوا: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك، قال: فيقول: هل رأوني؟ قال: فيقولون: لا ، والله ما رأوك؟ قال: فيقول: وكيف لو رأوني؟ قال: يقولون: لو رأوك كانوا أشد لك عبادة، وأشد لك تمجيدًا وتحميدًا، وأكثر لك تسبيحًا، قال: يقول: فما يسألوني؟ قال: يسألونك الجنة ، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا ، والله يا رب ما رأوها،

[٦٧] - الكهف: ٢٨.
[٦٨] - الشعراء: ٨٣

قال: يقول: فكيف لو أنهم رأوها ؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصًا، وأشد لها طلبًا، وأعظم فيها رغبة، قال: فمم يتعوذون؟ قال: يقولون: من النار، قال: يقول: وهل رأوها؟ قال: يقولون: لا ، والله يا رب ما رأوها، قال: يقول: فكيف لو رأوها؟ قال: يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارًا، وأشد لها مخافة، قال: فيقول: فأشهدكم أني قد غفرت لهم، قال: يقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم، إنما جاء لحاجة، قال: هم الجلساء لا يشقى بهم جليسهم).

**موقف الإنسان إذا مسه الشر:**

الشر المقصود في هذا المبحث هو الشدائد والابتلاءات ؛ لذا ينقسم الناس في موقفهم من الشدائد إلى قسمين: موقف مذموم وموقف محمود.

أولًا: الموقف المذموم:

**١. الإنسان الكافر.**

والموقف المذموم عند الشدائد يصدر عن الكافرين.

قال الله تعالى: (وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَئُوسًا (٨٣) )[٦٩]

والإنسان الكافر إذا أصابته النعمة بطر وتكبر، وإن أصابته الشدة يئس وقنط، وكل إنسان يعمل على نهجه وطريقته في الهدى والضلال، فإن نفس الإنسان مشرقة صافية تسير في طريق الهدى صدرت منه أفعال كريمة فاضلة، وإن كانت نفسه فاجرة كافرة تتخبط في الضلال صدرت عنه أفعال سيئة شريرة، وسيجزي الله كل عامل بعمله

قال الزمخشري: «وإذا أنعمنا على الإنسان بالصحة والسعة أعرض عن ذكر الله، كأنه مستغن عنه مستبد بنفسه ونأى بجانبه تأكيد للإعراض، لأن الإعراض عن الشيء أن يوليه عرض وجهه، والنأي بالجانب: أن يلوى عنه عطفه ويوليه ظهره، وأراد الاستكبار، لأن ذلك من عادة المستكبرين وإذا مسه الشر من فقر أو مرض أو نازلة من النوازل كان يؤوسًا شديد اليأس من روح الله إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون»[٧٠]

---

[٦٩] -الإسراء: ٨٣

[٧٠] - الكشاف ج٣ ص ٥٤٨

**٢. الإنسان الذي يعبد الله على حرف.**

إذا أصابه الضر من مرض أو فقر أو نحوه دعا الله في جميع الحالات مضطجعًا أو قاعدًا أو قائمًا لكشف ذلك الضر عنه، فلما أزال الله ما به من ضر استمر على عصيانه، ونسي ما كان فيه من الجهد والبلاء أو تناساه، وهو عتاب لمن يدعو الله عند الضر، ويغفل عنه عند العافية

قال تعالى: (وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنْبِهِ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنَا إِلَى ضُرٍّ مَسَّهُ )[٧١]

قال تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ (١١) )[٧٢]

قال الزمخشري: «(عَلَى حَرْفٍ ) على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه، وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم، لا على سكون وطمأنينة، كالذي يكون على طرف من العسكر، فإن أحس بظفر وغنيمه قر واطمأن، وإلا فر وطار على وجهه، قالوا: نزلت في أعاريب قدموا المدينة، وكان أحدهم إذا صح بدنه ونتجت فرسه مهرا سريا، وولدت امرأته غلامًا سويا، وكثر ماله وماشيته قال: ما أصبت منذ دخلت في ديني هذا إلا خيرا، واطمأن، وإن كان الأمر بخلافه قال: ما أصبت إلا شرا، وانقلب»[٧٣]

وقال المراغي: « أي : فإن أصابه رخاء وسعة في العيش سكن واستبشر بهذا الخير والدين فعبد الله، وإن أصابه شر وبلاء في جسمه أو ضيق في معيشته ارتد ورجع إلى الكفر.[٧٤]

والثبات في الدين إنما يكون إذا كان الغرض منه إصابة الحق وطاعة الرب والخوف من عقابه، أما إذا كان المقصد منه الخير المعجل فإنه يظهر في السراء ويختفى لدى الضراء، وهذا هو النفاق بعينه كما يرشد إلى ذلك قوله في المنافقين: (مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ )[٧٥]

وقوله: (فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ )[٧٦]

---

[٧١] -يونس: ١٢.
[٧٢] -الحج: ١١
[٧٣] - الكشاف ج٤ ص١٧٩
[٧٤] - تفسير المراغمي ص٣٣٢
[٧٥] - النساء: ١٤٣
[٧٦] - النساء: ١٤١.

وخلاصة ذلك أن من الناس من ليس له ثبات في أمر دينه، بل هو متأرجح مضطرب مذبذب، يعبد الله على وجه التجربة انتظارا للنعمة، فإن أصابه خير بقي مؤمنا، وإن أصابه شر من سقم أو ضياع مال أو فقد ولد ترك دينه وارتد كافرًا

**ثانيًا: الموقف المحمود:**

وهذا الموقف لا يصدر إلا من أهل الإيمان فهم يتلقون هذه الشدائد والابتلاءات بقلوب صابرة مطمئنة وعامرة بالإيمان بقضاء الله وقدره راضية عن الله تعالى، فالمؤمن يراقب نفسه ويوجهها إلى ما يحب الله ويرضى.

قال تعالى: (إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا (١٩) مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا (٢٠) مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا (٢١) الْمُصَلِّينَ (٢٢) )[٧٧]

قال ابن كيسان: خلق الله الإنسان على طبيعة تحب ما يسره وتهرب مما يكرهه، ثم تعبده بإنفاق ما يحب، والصبر على ما يكره[٧٨]

قال السعدي: «وهذا الوصف للإنسان من حيث هو وصف طبيعته الأصلية، أنه هلوع، وفسر الهلوع بأنه: (إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ) فيجزع إن أصابه فقر أو مرض، أو ذهاب محبوب له، من مال أو أهل أو ولد، ولا يستعمل في ذلك الصبر والرضا بما قضى الله، (وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا )فلا ينفق مما آتاه الله، ولا يشكر الله على نعمه وبره، فيجزع في الضراء، ويمنع في السراء، (إِلَّا الْمُصَلِّينَ )الموصوفين بتلك الأوصاف فإنهم إذا مسهم الخير شكروا الله، وأنفقوا مما خولهم الله، وإذا مسهم الشر صبروا واحتسبوا»[٧٩]

**مواقف محمودة من القصص القرآني:**

**موقف إبراهيم عليه السلام.**

لقد ابتلي إبراهيم عليه السلام في أبيه الذي كان يصنع أصنامًا تعبد من دون الله، وابتلي في جسمه فقذف في النار، وابتلي إلى ذلك بابتلاء من نوع خاص، وهو تحميله أمانة الإمامة، حيث قال تعالى: (وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ (١٢٤) )[٨٠]

---

[٧٧] - المعارج: ١٩-٢٢

[٧٨] - انظر معالم التنزيل البغوي ج٤ ص١٥١

[٧٩] - تيسير الكريم الرحمن ص٨٨٧

[٨٠] -البقرة: ١٢٤.

وابتلي في ولده و فلذة كبده فأمر بذبحه،قال تعالى: (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَابُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَاأَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (١٠٢) فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ (١٠٣) أَنْ يَاإِبْرَاهِيمُ (١٠٤) صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (١٠٥) هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ (١٠٦) )[٨١]

فلقد ابتلى الله إبراهيم ابتلاءً شديدًا، أمره بأن يذبح ولده الحبيب، «وكان ذلك الولد عزيزا على أبيه لأنه فلذة كبده وإنسان عينه، وقد جاء من الله بعد الدعاء وبشارة الملائكة به ، فكان له مزيد فضل، وعلو كعب، ومع ذلك فقد صدع إبراهيم لأمر ربه»

، وقد كان هذا الابتلاء ابتلاءً بالشر والمكروه.

قال القرطبي: « قال أبو زيد: هذا من البلاء الذي نزل به في أن يذبح ابنه، قال: وهذا من البلاء المكروه»[٨٢]

**موقف يوسف عليه السلام.**

حين تعرض للعديد من الشدائد والابتلاءات ، فصبر على تآمر إخوته عليه وهو صغير ، فعانى الحرمان من حنان والده، وصبر على محاولة امرأة العزيز إغواءه بارتكاب الفاحشة، وصبره على السنوات التي قضاها في السجن.

قال الله تعالى على لسانه بعد أن اجتمع بأخيه الشقيق بعد فراق طويل: (إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ )[٨٣]

**موقف أيوب عليه السلام.**

ابتلي أيوب عليه السلام بأنواع البلاء فصبر، وكان قد أصيب في ماله وأهله وبدنه، أذهب ماله فصبر، ثم أهلك أولاده وهم سبعة من الذكور وسبعة من الإناث فصبر، ثم سلط البلاء والمرض جسمه فصبر، بقي في البلاء ثماني عشرة سنة، فمر عليه ملأ من قومه ذات يوم فقالوا: ما أصابه هذا إلا بذنب عظيم ، فعند ذلك تضرع إلى الله تعالى فكشف عنه ضره

قال تعالى: (وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (٨٣) )[٨٤]

---

[٨١] - الصافات: ١٠٢-١٠٦

[٨٢] -الجامع لاحكام القران ج١٥ص١٠٦

[٨٣] - يوسف: ٩٠.

[٨٤] -الأنبياء: ٨٣

وفي قصته عليه السلام عبرة لنا يا أهل فلسطين للصبر على المحن والابتلاءات، ولنا في نبينا صلى الله عليه واله وسلم أسوة حسنة حين بشرنا بقوله: (عجبًا لأمر المؤمن ، إن أمره كله له خير، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرًا له)

**جزاء الأشرار:**

الله عز وجل حكمٌ عدل جعل الجزاء من جنس العمل؛ إنه يمهل الظالم ولا يهمله حتى إذا أخذه لم يفلته ، بل يأخذه أخذ عزيز مقتدر، وفي هذا المبحث سنتناول شيئًا من جزاء الأشرار في الدنيا والآخرة.

**أولًا: جزاء الأشرار في الدنيا:**

ولنا في قصص الأنبياء مع أقوامهم العبرة في مصير الأشرار الذين ازداد طغيانهم وعقابهم في الدنيا والآخرة.

قال الله تعالى: (أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ (١٤) )[٨٥]

حيث عددت الآيات أقوامًا عتاة متمردين جبارين خرجوا عن طاعة الله تعالى، كذبوا رسلهم، وجاوزوا الحد في الشر والظلم والطغيان، وأكثروا من المعاصي والآثام فأنزل الله عليهم ألوانًا شديدة من العذاب، فأهلكت عادٌ بالريح، وثمود بالصيحة، وفرعون وجنوده بالغرق.

وقوله تعالى: (فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) )[٨٦]

تعبير يوحي بلذع العذاب حين يذكر السوط وشدته حين يذكر الصب، حيث يجتمع الألم اللاذع والغمرة الطاغية على هؤلاء الطغاة الأشرار ، كما قال الله تعالى: (فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (٤٠) )[٨٧]

---

[٨٥] -[الفجر: ٦-١٤

[٨٦] - الفجر: ١٣

[٨٧] - العنكبوت: ٤٠

ففي قوله تعالى: (وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ ) قال القرطبي: «(فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا ) يعني : قوم لوط، والحاصب ريح يأتي بالحصباء وهي الحصى الصغار، وتستعمل في كل عذاب، (وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ ) يعني : ثمودا وأهل مدين، (وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ ) يعني : قارون، (وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا ) قوم نوح وقوم فرعون، (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ ) لأنه أنذرهم وأمهلهم وبعث إليهم الرسل وأزاح العذر وقال الله تعالى: (وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ )[٨٨]

ما أعظمه من مشهد هؤلاء الظلمة وهم في سكرات الموت وشدائده ، وملائكة العذاب يضربون وجوههم وأدبارهم لتخرج أرواحهم من أجسادهم ، قائلين لهم :خلصوا أنفسكم من العذاب، وهاتوا أرواحكم وأخرجوها إلينا من أجسادكم، وفي ذلك معنى العنف في النسيان والإلحاح الشديد في الإزهاق من غير إمهال وتنفيس فاليوم تجزون العذاب الذي به الهوان الشديد مع الخزي الأكيد بافترائكم على الله وتكبركم على الإيمان بآيات الله تعالى

**ثانيًا: جزاء الأشرار في الآخرة:**

وإذا كان ذلك حال عذابهم في الدنيا فما بال العذاب الذي ينتظرهم في الآخرة، لا شك أنه أشد وأخزى لقوله عز وجل: (كَذَلِكَ الْعَذَابُ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٣٣) )[٨٩]

**١. جزاء الأشرار في الحياة البرزخية (القبر).**

القبر أول منازل الآخرة، فالقبر إما روضة من رياض الجنة على الصالحين، وإما حفرة من حفر النار على الأشرار الظالمين.

قال الله تعالى: (النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦) )[٩٠]

جاءت هذه الآية بعد آية تصف ما نزل بفرعون وجماعته وهو أسوأ العذاب وهو الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة ثم بينا أن هذه النار يحرقون بها صباحًا ومساءًا، قال المفسرون: المراد بالنار هنا نار القبر وعذابهم في القبور ، بدليل قوله

[٨٨] - الأنعام: ٩٣
[٨٩] -القلم: ٣٣.
[٩٠] -غافر: ٤٦

بعده: (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ) أي : ويوم القيامة يقال للملائكة: أدخلوا فرعون وقومه نار جهنم التي هي أشد من عذاب الدنيا

وجاء في الحديث الذي يرويه أنس بن مالك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إن العبد إذا وضع في قبره، وتولى عنه أصحابه، وإنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه، فيقولان: ما كنت تقول في الرجل، لمحمد صلى الله عليه وسلم ، فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار ، قد أبدلك الله به مقعدًا من الجنة فيراهما جميعًا ، وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريناً، ولا تلين، فيضرب بمطارق من حديد ضربة ، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين)[٩١]

**٢. جزاء الأشرار يوم القيامة.**

يحشر الأشرار يوم القيامة شر محشر، فهؤلاء الكفار المكذبين بالقرآن يسحبون ويجرون إلى النار على وجوههم ، وهم أضل طريقًا، وشر منزلًا ونصيرًا

وفي الحديث الذي رواه أنس بن مالك: (أن رجلا قال: يا رسول الله، كيف يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة ؟ قال: أليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادرًا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة ؟)

قال تعالى: (الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَى جَهَنَّمَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٣٤) )[٩٢]

جاء في أوضح التفاسير: «يجرون عليها؛ وفي هذا منتهى الإذلال والتعذيب»[٩٣]

، كما توعد الله الأشرار بألوان من العذاب في نار جهنم في قوله: (هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) )[٩٤]

قال الزمخشري: «كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم فخرجوا أعيدوا فيها، ومعنى الخروج: ما يروى عن الحسن أن النار تضربهم بلهبها فترفعهم، حتى إذا كانوا في

---

[٩١] -اخرجه البخاري برقم ١٣٣٨

[٩٢] - الفرقان: ٣٤.

[٩٣] - اوضح التفاسير ج١ ص ٤٣٨

[٩٤] - الحج: ١٩.

أعلاها ضربوا بالمقامع ،فهووا فيها سبعين خريفا وقيل لهم : ذوقوا عذاب الحريق ، والحريق: الغليظ من النار المنتشر العظيم الإهلاك »[٩٥]

**اتّضح مما تقدّم آنفاً أنّ قضيّة الشرور ليست معضلة مبهمةً عصيّةً على التبرير العقلانيّ كما يرى الأشاعرة، ولا هي أمر ينفي الوجود الإلهي، ويدعونا إلى إنكاره كما يحلو للملاحدة والطبيعيين أن يصوّروه، ولا هي مشكلة فكريّة عويصة يجب أن تنتهي بنا إلى الثنوية والإيمان بإلهٍ للخير، وإلهٍ للشرّ. إنّ الشرور بأسرها وليدة إرادة الإنسان، وإنّ الإرادة الإلهية تقع في طول إرادة الإنسان من الأعلى.**

## والحمد لله رب العالمين

[٩٥] - الكشاف ج٣ ص١٥٠